فتقصّم رجل اقصم الثنية اى مكسورها بيّن القصم بفتح الصاد والتمهيل التاخير ويروى ارجاء هو التاخير ايضا والرواية
المشهورة ورخاء اى بعد اعطاهم من سعة العيش وخصب الحال ما اقتضته المصلحة والازل بفتح الهمزة الضيق ونقصون تسعون
قال سبحانه وتعالى وقالت لاخته قصّيه ويعفون بكسر العين عففت عن كذا اعف عفا وعفة وعفافة اى كففت فانا عف وعفيف عفيف
وامراة عفة وعفيفة وقد اعفّه الله واستعفّ عن المسألة اى عف وتعفف الرجل اى تكلف العفة ويروى ولا يعفون عن
عتب اى لا يصفحون ومفزعهم ملجاهم وفيما يرى اى فيما يظن ويروى بفتح الياء اى فيما يراه هو ويروى يعرى ويثقات يقول ان
عادة الله تعالى ان لا يقصم الجبابرة الا بعد الامهال والاستدراج بافاضة النعم عليهم وان لا يجبر اولياءه وينصرهم الا بعد
بؤس وبلاء يمتحنهم به ثم قال لاصحابه ان في دون ما استقبلتم من عتب لمعتبرا اى من مشقة يعني ما استقبلوه ما لاقوه في
مستقبل زمانهم من التشيب وولاة السوء ونكد الوقت وسمى المشقة عتبا لان العتب مصدر عتب عليه اى وجد عليه فجعل
الزمان كالواجد عليهم القائم في انزال المشاق بهم مقام الانسان ذي الموجدة يعتب على صاحبه ويروى من عتب بفتح التاء جمع عتبة
يقال لقد حمل فلان على عتبة اى امر كريه من البلاء وفي المثل ما في هذا الامر رتب ولا عتب اى شدة ويروى ايضا من عتب وهو الامر
الشاق وما استدبرتم من خطب يعني ما انصرم عنهم من الحروب والوقايع التي تقضوها ونضوها واستدبروها ويروى في
استدبرتم من خصب وهو رخاء العيش وهذا يقتضي المعنى الاول اى دوما خلفتم وراءكم من الشباب والصحة وصفو المعيشة
ثم قال وما كل ذي قلب بلبيب الكلام الى آخره وهو مأخوذ من قول الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم آذان لا يسمعون بها ثم تعجب من اختلاف حجج الفرق في الدين وخطاهم وكونهم لا يتبعون اقوال الانبياء ولا اقوال
الاوصياء ثم نعى عليهم احوالهم القبيحة فقال انهم لا يؤمنون بالغيب اى لا يصدقون بما لم يشاهدوه ولا يكفون عن الامور القبيحة
لكنهم يعملون في الشبهات اى يعملون اعمالا داخلة في الشبهات متوسطة لها ويسيرون في الشهوات جعل الشهوات كالطريق
التي يسير فيها الانسان ثم قال المعروف فيهم ما عرفوه اى ليس المعروف ما دل الدليل على كونه معروفا وصوابا وحقا بل المعروف
عندهم ما ذهبوا الى انه حق سواء كان حقا في نفس الامر او لم يكن والمنكر عندهم ما انكروه كما شرحناه في المعروف ثم قال انهم لا
يستشيرون بعالم ولا يستفتون فيها فاضلا بل مفزعهم في الامور المشكلة الى انفسهم وآرائهم ولقد صدق صلوات الله عليه
فان هذه صفات من يدعي العلم والفضل في زماننا وقبله بدهر طويل وذلك انهم يأنفون من التعلم والاسترشاد فالبادي
منهم يعتقد في نفسه انه افضل من البارع المنتهي ومتى ظفر الواحد منهم بمبادي علم وجملة شرع في التدريس والتصنيف فمنعه
التزامه بذلك من التردد الى العلماء وانف من سؤالهم عن الامور المشكلة فدام جهله الى ان يموت ثم قال كأن كل واحد منهم
امام نفسه ويروى بحذف كان واسقاطها وهو احسن **الاصل** ومن خطبة له عم ارسله على حين فترة من الرسل وطول وانقا
هجعة من الامم واعتزام من الفتن وانتشار من الامور وتلظ من الحروب والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور على حين
اصفرار من ورقها وإياس من ثمرها واغورار من مائها قد درست اعلام الهدى وظهرت اعلام الردى فهي متجهمة لاهلها عابسة
في وجه طالبها ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف فاعتبروا عباد الله واذكروا تيك التي آباؤكم
واخوانكم بها مرتهنون وعليها محاسبون ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود ولا خلت فيما بينكم وبينهم الاحقاب والقرون
وما انتم اليوم من يوم كنتم في اصلابهم ببعيد والله ما اسمعكم الرسول صلى الله عليه وآله شيئا الا وها انا ذا مسمعكموه وما
اسماعكم اليوم بدون اسماعكم بالامس ولا شقت لهم الابصار وجعلت لهم الافئدة في ذلك الزمان الا وقد اعطيتم مثلها في هذا
الزمان والله ما بصرتم بعدهم شيئا جهلوه ولا اصفيتم به وحرموه ولقد نزلت بكم البلية جائلا خطامها رخوا بطانها فلا
يغرنكم ما اصبح فيه اهل الغرور فانما هو ظل ممدود الى اجل معدود **الشرح** الفترة بين الرسل انقطاع الرسالة والوحي وكذلك
كان ارسال محمد صلى الله عليه وآله لان بين محمد وبين عيسى عليه السلام عهدا طويلا اكثر الناس على انه ستمائة سنة ولم
يرسل في تلك المدة رسول اللهم الا ما يقال عن خالد بن سنان العبسي ولم يكن نبيا ولا مشهورا والهجعة النومة ليلا والهجوع
مثله وكذلك التهجاع بفتح التاء فاما الهجعة بكسر الهاء فهي الهيئة كالجلسة من الجلوس قوله واعتزام من الفتن كانه جعل
الفتن معتزمة اى مزيدة مصممة للشغب والهرج ويروى واعتراض ويروى واعترام بالراء المهملة من العرام وهي الشرة والتلظي

التلهب وكاسفة النور قد ذهب ضوءها كما تكسف الشمس ثم وصفها بالتغير وذبول الحال فجعلها كالشجرة التي اصفر ورقها
ويئس من ثمرها واغور ماؤها والاغوار ذهاب الماء فلاة غوراء لا ماء بها ومن رواه واعوار من مائها بالعين المهملة
جعله من عار الماء اى ذهب ومنه قوله تعالى ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا ومتجهمة لاهلها كالحة في وجوههم ثم قال ثمرها
الفتنة وما يتولد عنها وطعامها الجيفة يعني اكل الجاهلية للميتة او يكون على وجه الاستعارة اى اكلها خبيث ويروى
الخيفة اى الخوف ثم جعل الخوف والسيف شعارها ودثارها فالشعار ما يلي الجسد والدثار فوق الشعار وهذا من بديع
الكلام ومن جيد الصناعة لانه لما كان الخوف يتقدم السيف والسيف يتلو جعل الخوف شعارا لانه الاقرب الى الجسد
وجعل الدثار تاليا له ثم قال واذكروا تيك كلمة اشارة الى المؤنثة الغائبة فيمكن ان يعني بها الدنيا التي تقدم ذكرها
وقد جعل آباؤهم واخوانهم مرتهنين بها ومحاسبين عليها والارتهان الاحتباس ويمكن ان يعني بها الامانة التي عرضت
على الانسان فحملها والمراد بالامانة العبادة وفعل الواجب وتجنب القبيح وقال تيك ولم يجر ذكرها كما قال تعالى الم ذلك الكتاب
ولم يجر ذكره لان الاشارة الى مثل هذا اعظم واهيب واشد روعة في صدر المخاطب من التصريح قوله ولا خلت فيما بينكم
وبينهم الاحقاب اى لم يطل العهد والاحقاب المدد المتطاولة والقرون الامم من الناس وقوله من يوم كنتم يروى بفتح
الميم على انه مبني اذ هو مضاف الى الظرف الزماني ويروى بجرها بالاضافة على اختلاف القولين في علم العربية ثم اختلفت
الرواية في قوله والله ما اسمعكم فروى بالكاف وروى اسمعهم وكذلك اختلفت الرواية في قوله وما اسماعكم اليوم بدون
اسماعكم بالامس فروى هكذا وروى بدون اسماعهم ومن رواه بها الغيبة في الموضعين فالكلام منتظم لا يحتاج الى تاويل
ومن رواه بكاف الخطاب قال لانه خاطب به من صحب النبي صلى الله عليه وآله وشاهده وسمع خطابه لان اصحاب علي عم
كانوا فريقين صحابة وتابعين ويعضد الرواية الاولى سياق الكلام وقوله ولا شقت لكم الابصار الا وقد اعطيتم مثلها وما اصفيتم
به من الصفي وهو ما يصطفيه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة يقال صفي وصفية وخلاصة هذا الكلام ان جميع ما كان
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لاصحابه قد قلت مثله لكم فلم اطاع اولئك وعصيتم انتم وحالكم مساوية لحالهم قلت
لو ان مجيبا يجيبه لامكن ان يقول له المخاطبون وان كانوا نوعا واحدا متساويا الا ان المخاطب مختلف الحال وذلك لانك
وان كنت ابن عمه في النسب واخاه ولحمه ودمه وفضائلك مشتقة من فضائله وانت قبس من نوره وثانيه على الحقيقة ولكن
الا انك لم ترزق القبول الذي رزقه ولا انفعلت نفوس الناس لك حسب انفعالها له وتلك خاصية النبوة التي امتاز بها عنك
فانه كان لا يسمع احد كلامه الا احبه ومال اليه ولذلك كانت قريش تسمي المسلمين قبل الهجرة الصباة ويقولون نخاف ان
يصبو الوليد بن المغيرة الى دين محمد ولئن صبا الوليد وهو ريحانة قريش ليصبون قريش باجمعها وقالوا فيه ما كلامه الا
السحر وانه ليفعل بالالباب فوق ما تفعل الخمر ونهوا صبيانهم عن الجلوس اليه لئلا يستميلهم بكلامه وشمائله وكان اذا
صلى في الحجر وجهر يجعلون اصابعهم في آذانهم خوفا ان يسحرهم ويستميلهم بقراءته وبوعظه وتذكيره وهذا هو معنى قوله
ثم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ومعنى قوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا لانهم
في / يهرعون كانوا يهربون اذا سمعوه يتلو القرآن خوفا ان يغير عقائدهم في اصنامهم ولهذا اسلم الناس بمجرد سماع كلامه ورؤيته ومشاهدة
روائه ومنظره وبما ذاقوه من حلاوة لفظه وسر كلامه في آذانهم وملك قلوبهم وعقولهم حتى بذلوا المهج في نصرته
وهذا من اعظم معجزاته عم وهو القبول الذي منحه الله تعالى والطاعة التي جعلها في قلوب الناس لم يرد لك على الحقيقة سر
النبوة الذي تفرد به صلوات الله عليه فكيف يروم امير المؤمنين عم من الناس ان يكونوا معه كما كان آباؤهم واخوانهم مع
النبي صلى الله عليه وآله مع اختلاف حال الرئيسين اليس تساوي المامومين كما يعتبر في تحققه ايضا تساوي الرئيسين ثم نعود الى التفسير
قال عليه السلام ولقد نزلت بكم البلية اى المحنة العظيمة يعني فتنة معاوية وبني امية وقال جائلا خطامها لان الناقة اذا اضطرب
زمامها استصعبت على راكبها وسمى الزمام خطاما لكونه في مقدم الانف والخطم من كل دابة مقدم انفه وفمه وانما جعلها رخوا
بطانها لتكون اصعب على راكبها لانه اذا استرخى البطان كان الراكب بعرض سقوط عنها وبطان القتب هو الحزام الذي يجعل
تحت بطن البعير ثم نهاهم عن الاغترار بالدنيا ومتاعها وقال انها ظل ممدود الى اجل معدود وانما جعلها كالظل لانه ساكن في

Copyright … University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)